

ملخص كتاب (مفهوم الحرية في ميتافيزيقيا إيمانويل كانط)

هذا الكتاب (مفهوم الحرية في ميتافيزيقيا إيمانويل كانط) هو محاولة بسيطة منا لإنتاج تصور لمفهوم الحرية عند كانط مغاير لما يتبادر للذهن لأول وهلة عند الاطلاع على بعض النصوص الكانطية المتعلقة بهذا الموضوع ، بأن الحرية عنده (وهم) أو مفترضة. إذ يعتقد البعض أن كانط قد أفترض أن الحرية وهم ، لكننا سنفترض أن كانط لا يقصد بمعنى الافتراض هو الافتراض المرتبط بالتخيل ، وإنما يفترن معنى الافتراض بمفهوم الميتافيزيقيا عند كانط ، فكما انه لم ينكر الميتافيزيقيا كونها كذلك وإنما أنكر المواضيع و المناهج الكلاسيكية التي تناولتها الميتافيزيقيا محاولا أنتاج ميتافيزيقيا جديدة ، و يفترن معنى الحرية بالمعنى الجديد للميتافيزيقيا في محاولة أنتاج مفهوم جديد للحرية ، وليس إنكار وجودها.

وللوقوف على حقيقة هذين المعنيين للميتافيزيقيا والحرية عند كانط ، وتحقيق الأهداف المرجوة من البحث فقد انطوى هذا البحث على أربعة فصول : جاء الفصل الأول (توجه كانط الفكري ومنهجه) اما الفصل الثاني (تأسيس العقل الميتافيزيقي) في حين خصصنا الفصل الثالث للبحث في (مفهوم الحرية من الميتافيزيقيا التقليدية إلى الميتافيزيقيا الكانطية) وأخيرا تناولنا في الفصل الرابع (الطابع النقدي لمفهوم الحرية عند كانط).

و من خلال هذا البحث توصلنا إلى بعض الاستنتاجات ، التي تنطلق من فلسفة كانط النقدية والتي تذهب الى إثبات حدود المعرفة البشرية وبيان سمات التفكير التجريدي واثبات تناقضه الذاتي مع الواقع .

ثم الخروج بنتائج حول مفهوم الحرية في الميتافيزيقيا الكانطية . فقد خضع هذا المفهوم كما خضعت الميتافيزيقيا عامةً للنقد والتحليل والبناء، إذ أن أفراضات كانط للمفهوم ما هي إلا جزء من محاولة بناء جديدة للمفهوم الذي يشغل حيزاً كبيراً في فلسفته عامةً ، وميتافيزيقياه بصورة خاصةً . وفي بناء مفهوم الحرية نجد أن كانط قد ميز بين نوعين من الحرية بدايةً هما (الحرية العملية ، والحرية التراندنتالية) وكلاهما ينطوي تحت مفهوم الحرية الأعم وهو (الحرية السيكلوجية). أن الحرية عند كانط هي مفهوم ميتافيزيقي لا يمكن تفسيره أو تبريره من خلال الواقع .أما في النقائض العقلية الكانطية ، فقد أحتلت الحرية مكانة النقيضة الثالثة فنقول القضية (ليست السببية على وفق القوانين الطبيعية ، السببية الوحيدة التي يمكن أن تُستمد

منها ظاهرات العالم بأسرها . ومن الضروري أيضاً كي نفسرها أن نسلّم بوجود علّية) ، أما في نقيضها فإنه ليس من حرية وأن كل ما يحصل هو على وفق الطبيعة . ويضع كانط حلاً للقضية ونقيضها من خلال اشتراط أن القضية تشير إلى عالم الأشياء في ذاتها ، بينما نقيضها يشير لعالم الظواهر . فالإنسان مجبر كونه ظاهرة ، وحر كونه شئ في ذاته .

ونستنتج أن كانط كما حدد موضوعات الميتافيزيقيا كونها تقع خارج نطاق حدود العقل المحض ، إلا أنه لم ينكرها أو يعتبرها وهماً بل أنه قد أقر بوجودها و أهميتها إلا أنه حدد نطاق وجودها ، و أيضاً حدد إمكانية العقل المحض في بحثها ، وهذا دليل واضح على أن كانط لم يعدّ الحرية وهماً نفترضها لإرضاء نفوسنا ، بل هي موضوع يقع خارج حدود معرفتنا النظرية.(وهنا نتحقق صحة فرضيتنا بأن الحرية عند كانط ليست وهماً) . لكن بعد أن يتم أثبات الحرية بأستنباط محكم يزودنا العقل نفسه بمبدئه (في نقد العقل العملي) إلا إن ذلك أدى إلى وجود هوة بين الطبيعة والحرية ، عمل كانط على سدها في (نقد ملكة الحكم) ، من خلال أستنتاجه بأن الطبيعة تخضع بصورة غائية للأستعمال الأخلاقي للحرية. وبالتالي يحقق الترابط بين عالم الضرورة وعالم الحرية (أي مجال العلم ومجال الميتافيزيقيا).

كذلك توصلنا الى أن القاعدة الأساسية لأفعالنا بحسب كانط يجب أن تحكمها الأخلاق أي إننا نستند إلى قاعدة الأخلاق في الفعل الحر ، فالأفعال المحكومة بقوانين وضعية أو محكومة بالدين ليست أفعالاً أخلاقية بذاتها . ويجب أن يكون القانون والدين مبنيان على قاعدة الأخلاق ، وليس العكس . فالأخلاق تسبق الدين وتسبق القانون . وأن كانت هذه الأخلاق الميتافيزيقية الكانطية ، فالحرية إذن يجب أن تكون مستندة لذات القاعدة ، فحين أمارس حريتي في فعل ما ، يجب أن أخضع نفسي لقانون الأخلاق وهذا الإلزام أخلاقي بحت .